

## تفسير البحر المحيط

@ 462 % ( لو نال حي من الدنيا بمنزلة % .

أفق السماء لنالت كفه الأفقا .

% ) .

{ حم \* تَنْزِيلُ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ  
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ  
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ \* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا  
تَدْعُونَا إِلَيْهِمْ وَفِعْءِ أَذَانِنَا وَقُرْ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ  
فَاعْمَلْ إِنْ نَزَّلْنَا غَمَلًا وَرَوْحًا إِنْ نَزَّلْنَا غَمَلًا وَرَوْحًا إِنْ نَزَّلْنَا غَمَلًا وَرَوْحًا  
إِلَّا يَكُنْ لَّآلِهَتُكُمْ إِلَّا إِلَٰهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِمْ وَاسْتَغْفِرُوا  
وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ \* الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ  
هُمْ كَافِرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ  
غَيْرُ مَمْنُونٍ \* قُلْ \* أَتُنذِرُكُمْ \* لَتَكْفُرُنَّ بِاللَّهِ خَلْقَ الْإِنسَانِ فِي  
يَوْمٍ مَّيْنٍ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكُمْ رُبُّ الْعَالَمِينَ \* وَجَعَلَ  
فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاجَهَا فِي  
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ \* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ  
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا  
طَائِعِينَ \* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ \* سَمَاوَاتٍ \* فِي يَوْمٍ مَّيْنٍ وَأَوْحَى فِي كُلِّ  
سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكُمْ  
تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } . .

هذه السورة مكية بلا خلاف ، ومناسبتها لما قبلها ، أنه قال في آخر ما قبلها : {  
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ } إلى آخرها ، فضمن وعيدا وتهديداً وتقريعاً لقريش ،  
فأتبع ذلك التقرير والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر ، فذكر أنه نزل كتاباً مفصلاً آياته ،  
بشيراً لمن اتبعه ، ونذيراً لمن أعرض عنه ، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه . ثم ذكر قدرة  
الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي . ثم قال : { فَإِنَّ أَعْرَضُوا } فَقُلْ  
أَنْذَرْتُكُمْ مَّاعِقَةً { ، فكان هذا كله مناسباً لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع  
مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب ، وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب  
والسبي ، واستئصال أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ما حل بعباد وثمود من استئصالهم .

روي أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليعظم عليه أمر مخالفته لقومه ، وليقبح عليه فيما بينه وبينه ، وليبعد ما جاء به . فلما تكلم عتبة ، قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : { حم } ، ومر في صدرها حتى انتهى إلى قوله : { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } ، فأرعد الشيخ ووقف شعره ، فأمسك على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ) بيده ، وناشده بالرحم أن يمسك ، وقال حين فارقه : والله لقد سمعت شيئاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي . { تَنْزِيلَ } ، رفع على أنه خير مبتدأ محذوف ، أي هذا تنزيل عند الفراء ، أو مبتدأ خبره { كِتَابٌ فُصِّلَتْ } ، عند الزجاج والحوفي ، وخبر { حم } إذا كانت اسماً للسورة ، وكتاب على قول الزجاج بدل من تنزيل . قيل : أو خبر بعد خبر . { فُصِّلَتْ آيَاتُهُ } ، قال السدي : بينت آياته ، أي فسرت معانيه ، ففصل بين حرامه وحلاله ، وزجره وأمره ، ووعدته ووعدته . وقيل : فصلت في التنزيل : أي لم تنزل جملة واحدة . قال الحسن : بالوعد والوعيد . وقال سفيان : بالثواب والعقاب . وقال ابن زيد : بين محمد صلى الله عليه وسلم ) ، ومن خالفه . وقيل : فصلت بالموافق وأنواع ، أو آخر الآي ، ولم يكن يرجع إلى قافية ولا نحوها ، كالشعر والسجع . وقال أبو عبد الله الرازي : ميزت آياته ، وجعل تفاصيل معان مختلفة ، فبعضها في وصف ذات الله تعالى ، وشرح صفات التنزيه والتقديس ، وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ، وعجائب أحوال خلقه السموات والكواكب ، وتعاقب الليل والنهار ، وعجائب أحوال النبات والحيوان والإنسان ؛ وبعضها في أحوال التكليف المتوجهة نحو القلب ونحو الجوارح ، وبعضها في الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، ودرجات أهل الجنة ودركات أهل النار ؛ وبعضها في المواعظ والنصائح ؛ وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضة النفس ؛ وبعضها في قصص الأولين وتواريخ الماضين . وبالجمله ، فمن أنصف ، علم أنه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم والمباحث المتباينة مثل ما في القرآن . انتهى . .

وقرء : فصلت ، بفتح الفاء والصاد